قدمت هذه الرسالة في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي للباحث عبدالله بن صالح الوشمي لنيل درجة الماجستير وقد أشرف عليها أ.د. عبد الله بن صالح العريني، وناقشها كل من الدكتور سعد أبو الرضا (مناقشا داخليا) والدكتور عبد الباسط (مناقشا خارجيا).

وصدرت عن مكتبة الرشد في الرياض في كتاب ضمن سلسلة الرشد للرسائل الجامعية برقم (١٣٣)، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي

إعداد: التحرير

وتتألف الرسالة من:

■■ التمهيد: تحدث فيه الباحث عن الشيخ أبي الحسن الندوي في جوانب حياته من المولد إلى الوفاة شاملا أسرته ونشأته العلمية وصفاته الخَلْقية والخُلُقية وآثاره العلمية وأقوال العلماء والمفكرين والأدباء فيه..

■■ الفصل الأول: يضم ثلاثة مباحث تحت عنوان (مفهوم الأدب الإسلامي) هي: المفهوم العام للأدب الإسلامي – تأصيل الشيخ أبي الحسن الندوي لمفهوم الأدب الإسلامي – موازنة بين مفهوم الشيخ أبي الحسن ومفهوم الآخرين له.

■■ الفصل الثاني: يضم خمسة مباحث تحت عنوان (أسس الأدب الإسلامي عند الندوي) وهي: مفهوم

التصور الإسلامي وخصائصه – معرفة الله سبحانه وتعالى – التصور الإسلامي للكون – التصور الإسلامي للحياة – التصور الإسلامي للإنسان .

■■ الفصل الثالث يضم مبحثين تحت عنوان (قضايا الأدب الإسلامي عند الندوي) وهما: القضايا الإنسانية – القضايا النقدية.

■■ الفصل الرابع: يضم مبحثين تحت عنوان (خصائص الأدب الإسلامي عند الندوي) وهما: خصائص المضمون – خصائص الشكل.

يقول الباحث في مقدمة الكتاب: أصل هذا الكتاب أطروحة علمية أعدت استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير، وتحمل العنوان التالي: (جهود أبي الحسن الندوي في تأصيل منهج الأدب الإسلامي)، وقد رأيت أن أجعلها بهذا العنوان المسطر على الغلاف يقينا بأن الباحث يتجه في أساسه وفروعه وجهة نقدية بحتة، وهو ما حصل عليه الباحث في تخصصه حيث نال الدرجة العلمية في النقد ومنهج الأدب الإسلامي بتقدير ممتاز ومرتبة الشرف الأولى.

وأما بشأن إلغاء كلمة المنهج فلا ريب أن السبب الأول عائد إلى الرغبة بالتخفيف من حيث النطق والكتابة، فهو أسير للكتاب وأيسر، وإن كان واضحا أن التناول شامل للمنهج وفق ما ينظر إليه النقاد، وللأدب بوصفه ممارسة. إضافة إلى الندوي لم يكن معنيا بالحديث عن المنهج وفق ما اصطلح عليه مؤخرا وإنما عن الأدب نفسه.

عبدالله الوشمي

■ يعد الشيخ الندوي الرائد الأول في الدعوة إلى قيام الأدب الإسلامي بتأصيله الحديث.

وقد اجتهدت في أن تأخذ هذه الدراسة منحى تصحيحيا، وذلك عائد إلى التعويل الكبير على آراء الندوي وريادته في الدراسات النقدية الإسلامية المعاصرة، مع الغياب شبه التام له ولآرائه الموثقة، كما سيتضح في ثنايا هذا البحث، وإنك أمام عدد من آرائه ليخيل إليك أنك أمام ناقد لا يستحضر الشرط الشرعي الذي يستحضره غيره، أو أنه – وهو الأدق – يدرك كيف يكون هذا الاستحضار، فهو يؤصل أولا للأدب من حيث هو، ثم يضيف – لا حقا – رؤيته العامة للكون والحياة، وهذا ما يغيب عند طائفة من نقدة هذا المنهج، حين يدخلون إليه بلباس الفقيه أو العالم الشرعي الخلو من إدراك أبعاد الأدب ومراميه.

ولقد كان من نتائج هذه الدراسة ما يلي:

●● يعد الشيخ الندوي الرائد الأول في الدعوة إلى قيام الأدب الإسلامي بتأصيله الحديث، ومن ثم فإن أي مؤرخ لمسيرة الأدب الإسلامي الحديث لا بد أن يقف طويلا أمام جهوده في التأليف، والإبداع، والتقديم، والمشاركة في المنظمات والندوات وعلى رأسها رئاسته لرابطة الأدب الإسلامي العالمية. ومهم هنا أن نلفت الانتباه إلى أن ريادته تلك لا تقف عند مقاله الشهير في مجمع اللغة العربية بدمشق، بل إنها تعود إلى ما قبله بأكثر من عشرين عاما، بالإضافة إلى دعوته الصريحة والمبكرة إلى تأسيس مجمع أو منظمة تعنى بإنتاج الأدب الإسلامي.

●● كان من أهم الدوافع التي حركت الندوي لتأصيل الأدب الإسلامي، ما يشعر به المسلمون في الهند من صراع طائفي، فكان الأدب مقوما مهما من مقومات بقائهم هناك، ولم يكن يتعامل مع الأدب إلا بوصفه نفحة إسلامية فلا صراع بينهما، بل إنه يمتد في رؤيته ويرى أنه لا خروج للأدب من سلطان الأزمنة والأمكنة إلا بالارتباط بالإسلام.

●● يزاوج الندوي في استخدامه لمصطلح الأدب الإسلامي بين دلالتين تتكاملان فيما بينهما، فهو حينا يشير به إلى الانتماء العقدي، حين يكون قائله مسلما، وذلك يتمثل في تأصيله للأدب الإسلامي الهندي في مواجهة الأدب الهندوسي، وحينا يشير به إلى الأدب الذي يلتزم قيم الإسلام في أدائه، وذلك في إشاراته المتعددة إلى تخلي بعض الأدباء المسلمين عن الشرط المضموني في الأدب.

●● اجتهد الندوي في استكمال معظم الجوانب التنظيرية والتطبيقية لمنهج الأدب الإسلامي، فقد كان ديدنه في أغلب كتاباته أن يقوم بالتأصيل للجانب النظري في الجنس أو الفن الأدبي، ثم يجتهد في الكتابة التطبيقية الإبداعية لهذا الفن، كما رأينا ذلك في أدب الأطفال، والقصة التاريخية، وأدب الرحلات، وأدب التراجم، وأدب التقديمات وغيرها من الفنون التي أوردها، وقد اتسمت جهوده بسمات أربع، وهي: القدم والقوة والكثرة والاستمرار.

●● ظهر في ثنايا هذه الدراسة أن الندوي معني في تأصيله لمنهج الأدب الإسلامي بالارتباط الوثيق بالأصول الشرعية واللغوية، ولذا رأيناه يستمد مصادره في التأصيل، ومصادر المضمون، ومصادر الشكل، من القرآن والسنة والكلام

■ **جوانب كثيرة من جهوده ما زالت بحاجة إلى مزيد من الدرس والبحث، وذلك مثل: أدب الرحلة، وأدب المقالة، وأدب السيرة.**

الأدبي الرفيع، وهو في ذلك يوقن أن القرآن والسنة وتراث الأمة الإسلامية ثري، وكفيل بتحقيق ما تصبو إليه من إبداع، وقد كان من أمثلة ذلك حرصه على اقتباس مصطلحاته من هذه المصادر، كما رأيناه يسمي الأدب الجميل في أدائه الفارغ من المضامين الهادفة أدب الزخرف، وفي ذلك ما لا يخفى من الاقتباس القرآني.

●● اجتهد الندوي في تأصيله للأدب الإسلامي بالتأكيد على أن التصور الإسلامي هو أساسه ومنطلقه، مؤكدا على ضرورة الاعتزاز بالمنهج الإسلامي، وقطع الطريق على كثيرين حاولوا أن يتسولوا مناهجهم الأدبية وأسسها من الغرب، دون وعي بالجذر العقدي لهذه المناهج، وهو في ذلك كله يقف موقفا دقيقا من قضية الاستفادة من الغرب، حيث إن الانبهار بتفوقه لا يعني الركوع أمامه، كما أن رفض مضامينه المنحرفة لا يعني رفض ما تميز به من آليات وآراء، فالإسلام دين الفطرة والعقل، وإن من الجناية على الإسلام والضيق العقلي أن نرفض النافع من حضارة الأمم غير الإسلامية.

●● جند الندوي الأدب الإسلامي ليقوم بمهمة إصلاحية عظيمة تتلخص في انتشال الأمة من واقعها المتخلف، وذلك لإيمانه المطلق بأهمية الكلمة في الإسلام والحياة، وأن الأدب هو التدشين الحقيقي للتغير والصحوة، ولذا فهو يؤمن بالصلة بين الكلمة والهدف، والأدب والفكر، ويقول: "العالم اليوم تحكمه الكلمة ويحكمه القلم"[1]، ومن هنا ظهرت مطالبته القوية، وتأصيله الجاد للالتزام في الأدب الإسلامي، منطلقا من أن اللغة العربية لا تجيز مطلقا أن يفصل الأدب عن دلالة الخلق الكريم.

●● كان الانحراف العقدي والخلقي الذي يعيشه الأدب المعاصر مسوغا ودافعا كبيرا لأن يحرص الندوي على تحصين الأدب الإسلامي من هذا الخلل، ومن آرائه في ذلك: إن وظيفة الأدب الحديث قد انتقلت من التأثير إلى الإثارة. وقد بينت هذه الدراسة أن الجهد التأصيلي النظري الذي قام به الندوي كان عنصرا فاعلا في تدعيم هذا الاتجاه، بالإضافة إلى أن نماذجه الأدبية المتنوعة جاءت تمثيلا صادقا لهذا الاتجاه.

●● يعقد الندوي صلة وثيقة بين الالتزام والإبداع، ويرى أن من يفهم الالتزام بوصفه قيدا على حرية الأديب لا يدرك نواميس الكون، بل إن الإيمان، وصفاء النفس يمنحان صاحبهما قدرة إبداعية، ونفاذا إلى المعاني السامية لا يدركها من ارتكس إلى الأرض، وحين تتغلغل العقيدة في نصوص الأدب فإن المتلقي على موعد مع مائدة إبداعية راقية.

●● لم يكن اهتمام الندوي بالأدب الإسلامي منحصرا في مضامينه، بل إنه قدم الأدب الإسلامي ليكون منقذا للأدب المعاصر من الضعف اللغوي والفني، ولذا وجدناه مهتما بالقوة الأدبية، وكان مثاله في ذلك أن الأدب الإسلامي كالحمام الزاجل الذي يصفق بجناحيه، ويغرد أعذب الألحان، ومع ذلك فهو في تحليقه يحمل رسالة لا يمكن أن يتنازل عنها، فكان المضمون الإسلامي الرائع دافعا لكي يبدع الأديب في أدائه.

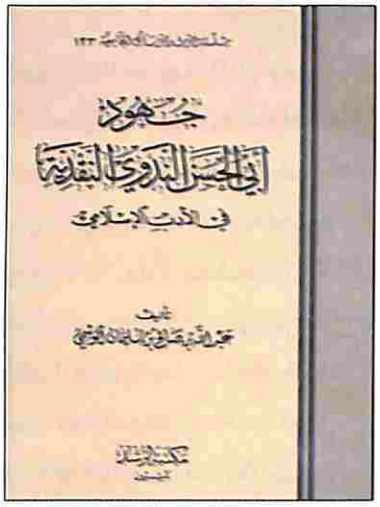

■ جند الندوي الأدب الإسلامي ليقوم بمهمة إصلاحية عظيمة تتلخص في انتشال الأمة من واقعها المتخلف.

●● يطرح الندوي رؤية نقدية يهدف من ورائها إلى إعادة القراءة الفاحصة في مصادر الأدب، وهو في ذلك يرى أن النصوص الإبداعية لا تقتصر على هذه الكتب فحسب، وإنما تتناثر في كتب التفسير والحديث والتاريخ وأوراق الأسر والعوائل، ومخطئ من يظن أن المكتبة العربية والإسلامية قد عصرت واستنفدت أغراضها، وإن المحنة والوباء العام الذي انتشر في أوراق الأدب هو تسلط أصحاب الصنعة والفروسية البلاغية.

●● لم يبح الندوي لنفسه إبان ممارسته النقدية الإبداعية، أو في تأصيلة لخصائص المضمون أو الشكل أن يقع في فخ سلب الآخرين حقوقهم الإبداعية، بل إنه كثيرا ما يشير إلى تميز غير المسلمين إبداعيا، ويستمر في ذلك إلى أن نراه يقبل ويستشهد بالإبداع الذي لا يخالف الشريعة، ويعده أدبا جيدا وصالحا.. مهما كان قائله مسلما أو غير مسلم، وهي نظرة تعود إلى اتساع مفهوم الأدب عنده، وإلى رغبته في الحفاظ على المستوى الأدبي والنقدي الجيد، وهو في ثنايا ذلك كله يعنى بإقامة توازن مهم بين إضاءات الشكل ومقاصد المضمون، ومهم أن يقال هنا: إن شرف المضمون عند الندوي ليس مسوغا لقبول ضعف الشكل أو انحرافه، ولذا نجده يؤصل للأدب القادر على المواجهة والصمود، ويرفض الأبيات التي بالغ فيها الشاعر في وصف نفسه بكلب من كلاب الحي الذي يقطنه الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه لا يرفض الشكل المتألق حين ينحط مضمونه، وإنما يشير إلى ضعف مضمونه، ويستفيد من فضاءات شكله.

■ أظهر تأصيله للأدب الإسلامي أنه أدب حي واقعي، وأن أصحابه ومبدعيه لا يعيشون في برج عاجي.

●● أظهر تأصيله للأدب الإسلامي أنه أدب حي واقعي، وأن أصحابه ومبدعيه لا يعيشون في برج عاجي، بل إن الندوي يجعل من الأدب الإسلامي وليدا للحياة، ومصلحا جادا، ولذا جاءت مضامينه واقعية إنسانية لا تعيش في المبالغة والخيال والأوهام، وهو في ذلك يريد من الأدب الإسلامي أن يهتم بالإنسان وأن يشعر بقيمته، وذلك لكي يقوم بالدور الذي أغفله الأدب المعاصر عندما تجاهل الإنسان، ولذا فإنه كثيرا ما يورد الأدب مورد العلوم الأخرى التي تساهم في حضارة الأمة ونهضتها، مما يعكس أهمية الأدب في مخياله، وأنه يقترب في أصوله ودوافعه من العلم.

●● كان رأي الندوي في لغات الأدب الإسلامي يقضي بأن اللغة الأولى هي اللغة العربية، وأن ظروف البلاد أو العباد هي التي تتيح الانتقال إلى غيرها، وفي ذلك حفظ للغات عامة من أن تذوب جمالياتها، حين يتركها أبناؤها، أو حين يتصدى للعربية من لا يتقنها بدعوى حصر الأدب الإسلامي فيها، وهو في ذلك كله يؤكد على أن الإنسان لم يخلق للغة، وإنما اللغة هي التي وجدت من أجله.

●● حاول الندوي، كما وضحت الدراسة، أن يبتكر عددا من المجالات الجديدة التي يجب على الأدب الإسلامي أن يتناولها، ولذا نجده كثيرا ما يتحدث عن آفاق الكون، وعن أحداث الحياة، ويرى أن هناك أدبا ضخما يتركز في كتب الحديث، والسير، والتاريخ، وأنها ليست مصادر دينية، أو اجتماعية،فحسب.

●● كان تعامل الندوي مع القضايا الإنسانية منطلقا من الرؤية الإسلامية الصحيحة، ولذا خلت نماذجه في مجملها من التجاوزات الشرعية، بل إنه حاول التأصيل الفني للتعامل مع قضايا القدر، والخير والفضيلة، والشر والرذيلة، وكشفت الدراسة أنه يطرح منهجا للتعامل معها، وذلك خشية أن تكون مصدرا للفساد الخلقي أو العقدي.

●● يمتاز الندوي في درسه النقدي أنه يحفظ للأدب خصائصه وامتداداته، فهو يدرك أن لغة الأدب مجازية وليست تنصيصية، وإذا كان يعطي الناقد والمتلقي دورا كبيرا في مساءلة المبدع حين يخفق مضمونيا أو إبداعيا، فإننا نجده في عدد من المواضع يتكلم بلسان الخبير في الأدب، فيرى أنه يجوز للشاعر ما ليس لغيره، وأن الأدب ومضامينه تفهم بالاهتزاز الشعوري الذي يمتلئ به القارئ بعد فراغه من النص، وأن الأدب كالطعام لا بد من تذوق حقيقته.

●● لم يقدم الندوي من الآليات الشكلية ما يعد ظاهرة تميز الأدب الإسلامي عن غيره على مستوى الشكل، وإنما يشير دائما إلى الشرط الأدبي والنقدي المتعارف عليه لدى الأمم كافة، مما يستلزم التماهي معه دون افتقاد الشرط الشرعي، وكأنه بذلك يشير إلى أن الأدب الإسلامي لا يختلف في الآليات ومقاييس النقد والجمال الفني كثيرا عن غيره من الآداب، ولكن التركيز فيه على ما يمتاز به من حيث الوقوف على المضامين السليمة، وإذا كانت هذه الفكرة كثيرا ما يرددها منظرو هذا المنهج، فإن المهم هو الإيمان والعمل بها، وهو ما يتجلى في رؤية الندوي وتأصيله.

●● ظهر لنا أن الندوي، وعلى الرغم من مرجعيته الدعوية إلا أنه امتاز بوعي جيد بالظاهرة الأدبية

ومآزقها وخصوصيتها، ومن ثم كان في بعض مواقفه ينحاز إلى منتقدي الأدب الإسلامي بمفهومه المعاصر، ولذا وجدناه يعلي من قيمة الأشكال، وينفتح على الأغراض الشعرية كالغزل وغيره، ويرفض العاطفية المبالغ فيها، ويسعى إلى إنقاذ الأدب من محتكريه، ويطالب بالإنصاف النقدي في قراءة النص الأدبي.

●● إن ريادات كثيرة للندوي، بقدر ما تحسب له كتعاريفه للأدب الإسلامي، ومصطلحاته، وانفتاحه على ثقافة الآخر وحضارته : إنما تظل محصورة في إطاره الشخصي والزمني والمكاني — أو تكاد -، على حين أن مشابهته في هذه الريادة من بعض منظري الأدب الإسلامي إنما هي خطوة جاءت في مرحلة متأخرة جدا لا تعكس النمو النقدي المنتظر في هذا المنهج، أما نقدة هذا المنهج الذين تأخروا فكريا عن المدى الذي بلغه الندوي في شخصه وزمنه ومكانه، فلعلهم يتحركون على هامش التكرار واجترار المعلومة لا غير.

وتقدم هذه الدراسة في نهايتها عددا من المقترحات وهي:

أولا: الاهتمام بالبحث في جهود الندوي عامة، فمع شهرته وما كتب عنه، فإن جوانب كثيرة من جهوده ما زالت بحاجة إلى مزيد من الدرس والبحث، وذلك مثل: أدب الرحلة، وأدب المقالة، وأدب السيرة.

ثانيا: ضرورة دراسة الجهود النظرية والتطبيقية للأدب الإسلامي في لغات العالم، وخاصة الأردية، والفارسية، والتركية، لكثرة ما نظم فيها، كما يشير إلى ذلك الندوي كثيرا.

ثالثا: الاهتمام بدراسة مجال المدائح النبوية من قبل المتخصصين في اللغات الشرقية، وعقد الموازنات بينها في اللغات المختلفة.

رابعا: تقترح هذه الدراسة على الجامعات، والكليات، والأقسام التي تعنى بدراسة منهج الأدب الإسلامي، الاهتمام بعرض جهود سماحة الشيخ الندوي التنظيرية والتطبيقية، وذلك عن طريق البحوث الفصلية، أو المحاضرات المتخصصة في منهج الأدب الإسلامي.

خامسا: يظل البعد الفكري ملحا في مشروع الندوي عامة، ومن الأولى أن تتجاوز الدراسات النقدية والأدبية الوقوف عند ظاهرة الأدب، إلى البحث في منحنيات هذه الآراء وأبعادها المستترة، من حيث علاقة قضايا النقد واختيارات الأديب بمنهجه الفكري ■

(١) مجلة الأدب الإسلامي، مقال بعنوان: الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، للدكتور عبدالقدوس أبو صالح، العدد٢٦-٢٧، ص١٢.

عزاء اليتيم

شعر: د. محمد ظافر الشهري
السعودية

فوق الثرى مستوحش يذرف
دمعا لشمس تحته تكسفُ

هنا يتيم وهنا ميت
تشابه الحرمان والأحرفُ

فنصف ذا ميت وذا نصفه
حي بدار الفقد مستخلفُ

لو كل حضن دافئ ضمه
لم يجد الدفء الذي يعرفُ

كأنما عيناه نبع الأسى
فكل حزن منهما يغرفُ

لا تعذل الأقدار يا رائقا
والله لله به أرأفُ

قد يتم الله أحب الورى
إليه، فاليتم به يشرفُ